واقع الموروث الثقافي في عصر العولمة
من وجهة نظر بعض أعضاء هيئة التدريس الجامعي العرب

د. انتصار حمد الزاوي
كلية الآداب، جامعة بنغازي

المستخلص:

إن العولمة ســـلاح ذو حدين ولتحقيق الأثر الإيجابي منها في حادة للتعامل مع ثقافة العولمة وفق اســتراتيجيات تعتمد على الانتقاء الثقافي لتحقيق مســتوى ملائم من الحصـــانة الثقافية، لأن أثرها لم ينحصـــر المادي فقط المتعلق بالاتصـــالات والإعلام والتقنية، وإنما شمل كل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية مما ساهم في إحداث تغيرات خاصة على الجانب الثقافي.

وحاولت الدراســـة الحالية التعرف على تأثير ثقافة العولمة على الموروث الثقافي وعلاقة ذلك بالحفاظ على الخصوصية الثقافية، وقد توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها أن تأثير ثقافة العولمة على الموروث الثقافي ســاهم في بروز ظواهر ســوســيولوثقافية متعولمة تتمثل في نمطية تأثير العولمة على الموروث الثقافي يتعلق ببروز أنماط ســلوكية أثرت على القيم كالنمط الاســتهلاكي، والاغتراب الثقافي، والازدواجية الثقافية وغيرها مما أدى إلى حدوث تحديات كبيرة لكثير من الشـــعوب للحفاظ على خصوصيتها الثقافية في عالم الثقافة الكونية، لأننا لا يمكننا محاربة ثورة الاتصالات والمعلوماتية لكننا في حاجة لمواجهة سلبياتها والاستفادة من إيجابياتها.

الكلمات المفتاحية: ثقافة العولمة، أنماط ســلوكية، الاغتراب الثقافي، الازدواجية الثقافية، ثورة الاتصالات.

المقدمة

ساهمت العولمة في إحداث تغيرات متسارعة في مجال الاتصال والتكنولوجيا أثرت على منظومة القيم الثقافية بشكل خاص، والموروث الثقافي بشكل عام. ومن هنا تتضح أهمية دراسة التجليات الثقافية للعولمة على المكونات الثقافية.

وتحاول الدراسة الحالية التعرف على واقع الثقافة في عصر العولمة في محاولة للوصول لتحليل سوسيولوجي لتأثير ثقافة العولمة على الموروث الثقافي وطبيعة هذا التأثير والظواهر الناتجة عنه.

وحاولت الدراسة الحالية التعرف على واقع الموروث الثقافي في عصر العولمة من خلال تأثير العولمة بآلياتها الإعلامية والاتصالية على مكونات الموروث الثقافي وعلاقة ذلك على الهوية والخصوصية الثقافية من وجهة نظر عشوائية من أعضاء هيئة التدريس الجامعي العرب وتم جمع البيانات وتحليلها ومناقشته، توصلت الدراسة لعدد من النتائج أهمها وجود تأثير للعولمة على مكونات الموروث الثقافي متمثلاً في منظومة القيم وأنماط السلوك ولكن تحديد نمطية هذا التأثير يتحدد في إطار معايير دينية واجتماعية وثقافية.

أيضاً توصلت الدراسة أن أهم تأثير للعولمة يتحدد من خلال طمس الموروث الثقافي عن طريق الترويج لأفكار وأنماط تدعو للتحرر وللانبهار بكل ما هو أجنبي بعضها يمجد الاستهلاك مما زاد من حدة صراع الازدواجية الثقافية والشعور بالاغتراب الثقافي في المجتمعات العربية مما يؤثر على استدامة الهوية الثقافية.

ولتحقيق ذلك تم تحديد مشكلة الدراسة وأهدافها والاطلاع على عدد من الدراسات السابقة التي تناولت تأثير العولمة على القيم والموروث الثقافي والهوية.

كذلك تم تكوين مدخل نظري يتضمن عدداً من المحاول النظرية التي تطرقت لتعريف الثقافة والموروث الثقافي وتأثير العولمة على مكونات الثقافة والآثار الناتجة عن هذا التأثير.

1. تحديد مشكلة الدراسة وأهميتها:

يعتبر الموروث الثقافي من ركائز كينونة الإنسان وانتمائه لوطنه وعنواناً للخصوصية الثقافية بأركانه المادية والمعنوية.

إن الواقع الثقافي في عصر العولمة تستوجب علينا الإحاطة بموروثنا الثقافي وإبرازه وزيادة التمسك به وتطويره والانتقاء الثقافي التوافقي من الثقافات الأخرى بحيث لا يؤدي ذلك للطمس والإبدال، والموروث الثقافي العربي غزير وأصيل بكل ما يحمله من قيم ثقافية وعادات وتقاليد تبرز لنا هويتنا الثقافية وغزارة التنوع الثقافي،

إلى جانب ذلك الموروث المادي الشـاهد على الحضـارات التي تحتاج منا لاسـتثمار سـياحي لتحقيق الاسـتفادة المادية، إلى جانب إبراز المعالم الأثرية لبلادنا، ولهذا فالموروث الثقافي في حاجة للتطوير والحماية من الاندثار ويتم ذلك من خلال ترسيخه عبر المناهج الدراسية وعبر الوسائل الإعلامية.

نحن هنا لا ننكر مدى أهمية آليات العولمة الإعلامية والاتصـالية في حياتنا حيث سهلت حصولنا على المعلومة والاستفادة منها لغوياً وثقافياً وسياسياً واقتصادياً من خلال تطوير الذات واكتساب المهارات والتواصل الثقافي عبر العالم الافتراضي، إلا أن هذه المساحة الرقمية أحدثت لنا تحدياً ثقافياً يساعدنا في تحقيق الاستفادة والحد من التأثير السلبي في ظل التنوع الثقافي لنضمن الحفاظ على الخصوصية الثقافية لمجمعاتنا العربية.

وهذه الدراسة تسعى للتعرف على واقع الموروث الثقفي بمكوناته (اللغة والملبس والأكل ونمط الحياة...).

وهنا ساهمت آليات العولمة في غرس الانبهار بكل ما هو أجنبي وحدوث الهجرة الافتراضية على الصعيد الثقافي والاجتماعي عبر آليات اتصالية وإعلامية من خلال تبني عدد من الأنماط الثقافية التي قد لا تنسجم مع عاداتنا وثقافتنا.

ولهذا نال انعكاس العولمة على الموروث الثقافي اهتمام عدد من المهتمين لما له من أهمية تتعلق بالأمن الفكري والاجتماعي، لأن نمطية ونوع هذا التأثير يعتمد على الانتقال الثقافي وتحديد المناسب.

ومن هنا برزت إشكالية الدراسة الحالية التي تتناول تأثير العولمة على الموروث الثقافي وخطر يهدد الاستدامة الثقافية من خلال تأثيرها على القيم عبر آليات اتصالية وإعلامية مما أدى إلى تبني أنماط سلوكية مستوردة تتنافى مع قيم المجتمع.

ومن هنا تبرز أهمية الدراسة كونها تتطرق لموضوع من موضوعات علم الاجتماع الثقافي وعلم اجتماع العولمة، وتناول تأثير العولمة بكل آلياتها على الموروث الثقافي ومعرفة ما تفرزه من ظواهر لها انعكاس على الأمن الفكري للفرد وللمجتمع.

2. أهداف الدراسة وتساؤلاتها:

تسعى الدراسة لتحقيق هدف عام هو التعرف على تأثير ثقافة العولمة على الموروث الثقافي. ويتفرع عنه عدد من الأهداف هي:

- التعرف على العوامل التي تؤدي إلى تأثير ثقافة العولمة على الموروث الثقافي.
- التعرف على الظواهر الناتجة عن تأثير ثقافة العولمة على الموروث الثقافي.

- التعرف على تأثير ثقافة العولمة على استدامة الثقافة والهوية.

ومن هنا تساؤلات الدراسة التي تسعى للإجابة عليها والمتمثلة في:

- ما هو واقع الموروث الثقافي؟
- هل أثرت العولمة على مكونات الموروث الثقافي؟ وكيف أثرت؟
- ما هي العوام الكامنة وراء تحديد تأثير العولمة على الموروث الثقافي؟
- ما هي الظواهر الناتجة عن تأثير العولمة على الموروث الثقافي؟ وهل تؤثر على استدامة خصوصية الهوية الثقافية؟

3. الدراسات السابقة: سيتم عرض عدد من الدراسات ذات العلاقة بموضوع الدراسة في محاولة للاستفادة منها نظرياً ومنهجياً بهدف التعرف على كيفية تأثير ثقافة العولمة على الموروث الثقافي، وسيتم عرضها من الأقدام للأحدث.

- دراسة سيروك (2000) بعنوان العولمة والثقافة المحلية(Jeremy, 2005): تهدف هذه الدراسة لتوضيح التأثيرات المختلفة التي تركتها العولمة وخاصة على نسق القيم، كما تسعى إلى توضيح خطر العولمة على الثقافات المحلية في محاولة لوضع اقتراحات للحفاظ على الهوية الثقافية. وقد توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها أنه بالرغم من شيوع العولمة على المستوى الظاهري إلا أن ذلك لا يدل على ما قد تم عولمته بالفعل، وترى أن العولمة لا تقتصر على الجانب الاقتصادي ولكنها تمتد لتشمل الهوية الثقافية، كما تشير الدراسة إلى أن العولمة ساهمت في تعميق فكرة الاستهلاك وإضعاف الفضائل والعادات والتقاليد والقيم السائدة، وهذا ما يؤدي إلى تفتيت الهوية الثقافية (Jeremy, 2005).

- دراسة ette kygaarb (2000) بعنوان: قياس تأثيرات العولمة على ثقافة الشباب(Petter, 2001): تم إجراء مقابلات مع عدد (120) مفردة شملت الأسئلة (75) سؤالاً تحتوي على مفردات أنماط الحياة، وقد استهدفت الدراسة معرفة تأثير الإعلام عل العلاقات بين الأفراد والجيران والأصدقاء والأسرة.

كشفت الدراسة أن هناك تأثيراً واضحاً لوسائل الإعلام على الحالة الاجتماعية والاقتصادية.

أن الشباب في كل مكان لديه تفضيل واضح للحياة الأحدث ونمط الحياة التي تزدهر في كل مكان.

- دراسة مصطفى مرتضى (2002) بعنوان: العولمة والتحديات المفروضة على المجتمعات العربية: تكمن أهمية الدراسة في محاولة للوصول إلى تحليل علمي دقيق لظاهرة العولمة، واعتمدت الدراسة لتحقيق أهدافها على الأسلوب التحليلي مستخدمة

المقابلة كأداة مناسـبة، واختيار عينة عمدة بلغ عددها (100) حالة من الأكاديميين من كل البلدان العربية ممن يعملون في جامعة السـلطان قابوس موزعين بالتسـاوي على كليات (الآداب، التربية، العلوم، الطب، الهندسـة)، وأوضـحت نتائج الدراسـة الميدانية أن هنـاك اتفاقاً على أن العولمـة ظـاهرة قائمـة وواقع ملموس ولابد من التعـامل معـه، ويرى البعض أنـه فرض لسـيـادة الأيـديولوجيـة الغربيـة وفرض ثقـافتهـا على العـالم وخاصة الثقافة الأمريكية.

ويتفق 70% من أفراد العينة على وجود آثار سـلبية للعولمة تتمثل في سـيادة ثقافة الاسـتهلاك وخاصـة في صـورته الأمريكية، بينما يرى 25% أن العولمة تعمل على تدمير الخصوصيات الثقافية بفرض النموذج الثقافي الغربي على المجتمع العربي (مرتضى، 2002).

- دراسـة ماهر أحمد عبد العال (2002) بعنوان: العولمة والهوية الثقافية (دراسـة لموقف المثقف المصري).

تهدف هذه الدراسة للبحث عن مدى اختلاف وتباين مواقف المثقفين المصريين تجاه قضـايا العولمة والهوية الثقافية، وتحليل العوامل المسـئولة عن تشـكيل هذه المواقف، أيضـاً تهدف الدراسـة إلى التعرف على أهم القضـايا التي يطرحها المثقف المصـري تجاه العولمة، ومعرفة واقع الثقافة في ظل العولمة. واعتمدت هذه الدراسـة على منهج دراسة الحالة واختيار عينة عمدية، وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج منها:

- أن الثقافة العربية تعاني من أزمة، إلا أن الآراء تباينت تجاه تحديد الأسـباب الكامنة وراء هذه الأزمة.
- معظم التيـارات الفكريـة اتفقت على عـدم قيـام النظـام الإعلامي والتعليمي بـالـدور المطلوب في دعم الثقافة العربية.
- أجمعت غالبية التيارات الفكرية على أن الهوية الثقافية تتأثر بظاهرة العولمة في كافة مكوناتها (عبد العال، 2002).

- ياسـر خضـير البياتي (2002) بعنوان: الفضـائيات والثقافة الوافدة وسـلطة الصـورة (ياسـر، 2003): يرى البحث خلال تحديده لمشـكلة دراسـته أن أحد أسـاليب العولمة الثقافيـة وسـائل الإعلام، ولقد تعددت رسـائل الإعلام وأكثرها شـيوعاً متمثل في الفضائيات.

وانطلقت الدراسـة في تحديد الإجراءات المنهجية من خلال انطلاقها لاختبار عدة فروض متمثلة في: إن التعرض للقنوات الفضائية باستمرار يؤدي إلى نتائج سلبية في حياة الشـباب الاجتماعية، واعتمدت على المنهج الاسـتطلاعي. أما عينة البحث

فكانت عشوائية مؤلفة من (200 طالب وطالبة) من جامعة السابع من أبريل – ليبيا، وتوصلت الدراسة لعدد من النتائج من بينها: تعمل الفضائيات في التأثير على المظهر الخارجي للشباب من ناحية التقليد والمحاكاة، أيضاً ازدياد واضح في الجانب الاستهلاكي بمختلف المجالات وما سببه هذا الاستهلاك من ظهور مشكلات اجتماعية واقتصادية للشباب، وقد ظهر هذا التأثير من خلال ظهور مشكلات أبرزها الانحراف، وضعف الروابط الاجتماعية، والشعور بالإحباط، وتعميق الإحساس بالاغتراب (البياتي، 2002).

- دراسة محمد حسن (2004) بعنوان: الثقافة العربية والعولمة، دراسة سوسيولوجية لآراء المثقفين العرب.

تهدف الدراسة لتحقيق أهداف متمثلة في معرفة تأثير العولمة في الثقافة العربية وتحديد طبيعة هذا التأثير كونه سلبي أو إيجابي، وقد استعان الباحث في دراسته بمنج المسح الاجتماعي لقياس آراء وميول واتجاهات الأفراد، أما مفردات الدراسة فقد تمثلت في المثقفين العرب وهم أعضاء هيئة التدريس العرب في الجامعات العربية، وقد تم اختيار عينة تمثل المثقفين العرب من السعودية واليمن والأردن والعراق ومصر والسودان والمغرب وليبيا. واستخلصت الدراسة عدداً من النتائج من بينها أن العولمة تمثل اعتداء على الثقافة العربية تستهدف الهوية والقومية وتسعى إلى طمسها وإعادة صياغتها (حسن، 2004).

وترى الدراسة أن العولمة تكرس الازدواج الثقافي، وسيقع تأثير العولمة كذلك على مؤسسات الأسرة والمدرسة والإعلام، التي ستقع تحت طائلة التأثير السلبي للعولمة.

رابعاً: التعقيب على الدراسات السابقة:

من خلال عرض عدد من التراث البحثي لعدد من الدراسات ذات العلاقة بموضوع الدراسة، نستخلص أنها أوضحت وجود تأثير للعولمة على الثقافة سواء على الصعيد الإيجابي من حيث سهلت التبادل العلمي والمعلوماتي، وساهمت في سهولة انتقال المعارف، وكذلك وجود تأثير سلبي متمثل في هيمنة ثقافة الأقوى، ووجود أنماط سلوكية منافية للقيم يتم الترويج لها عبر وسائل الاتصال والإعلام.

وقد تنوعت الدراسات التي تم عرضها في تناول تأثير العولمة وثقافتها على الثقافة سواء على قيم الأسرة، أو على اتجاهات الشباب، وعلى الهوية الثقافية. وكذلك تنوعت في نتائجها التي أوضحت وجود تأثير لثقافة العولمة على الثقافة المحلية،

ووجود أنماط سـلوكية تتنافى مع الهوية الثقافية، وانبهار الشـباب بكل ما هو غربي، والشعور بالازدواجية الثقافية وطمس الهوية المحلية.

والدراسـات السـابقة حددت مشـكلتها وأهدافها من خلال تناول آليات العولمة وانعكاسها على الموروث الثقافي (الفضائيات، وسائل التواصل، والهاتف المحمول).

وتنوعت مناهج الدراسات السابقة بين المنهج ودراسة الحالة والمنهج الوصفي وأسلوب تحليل المضمون للمقابلات المتعمقة.

كذلك تنوعت عينة الدراسـة بين الأكاديميين وأسـاتذة الجامعة وأفراد الأسـرة والشباب.

وبناء على ما تم عرضـه نستطيع القول إن معظمها كان يتطرق لتأثير العولمة بطريقة وصفية تحليلية بشكل عام مع بيان عدد من الظواهر الناتجة عن هذا التأثير.

ومن هذا المنطلق سـنحاول من خلال هذه الدراسـة التطرق لدراسـة انعكاس ثقافة العولمة على مكونات الثقافة بشكل عام والموروث الثقافي بشكل خاص.

فالدراسة الحالية تحاول إيجاد تفسير نظري لواقع الموروث الثقافي في عصر العولمة بالاستعانة لعدد من المداخل النظرية في محاولة لتحقيق أهداف الدراسة المتمثلة في الوصول لتحليل سوسيولوجي لتأثير ثقافة العولمة على الموروث الثقافي، والعوامل المؤثرة في تحديد نوعية التأثير والظواهر الناتجة عنه وعلاقتها بالأمن الفكري.

تحليل سوسيولوجي لواقع الموروث الثقافي في عصر العولمة

كان من البديهي أن يعيد علم الاجتماع النظري مناهجه وطرقه البحثية تمشـياً مع اهتماماته المتغيرة وأطره التصـورية ونماذج النظرية الجديدة، والواضـح أن هناك تحولاً في مناهج البحث في علم الاجتماع من الاسـتعانة بالمنهج الكمي إلى التوسـع في استخدام المناهج الكيفية.

وقد فرض واقع العولمـة أجنـدة بحثيـة جديـدة تعكس تكيف البحـث الاجتمـاعي والثقـافي مع هـذا الواقع الجـديـد، فهنـاك مبحـث يـدور حول ثقـافـة العولمـة والثقـافـة الإلكترونية والتي تعكس المعلومات والممارسـات المتصـلة بعالم الفضـاء الإلكتروني (علي، 2011: ص46).

1- الموروث الثقافي والهوية:

تعرف الثقافة بأنها تراكم الأفكار والقيم والأشياء، أي أنها التراث الذي يكتسبه النـاس من الأجيـال السـابقـة عن طريق التعليم، وعلى ذلـك فهي تتميز عن التراث البيولوجي الذي ينتقل إلينا عن طريق الجينات أو الموروثات.

ويعرف عالم الاجتماع دي روبرتي الثقافة بأنها حصيلة الفكر في المجالين النظري والعملي على السواء، وعلى ذلك فإنها تعتبر خاصة من خواص الإنسان دون غيره من الكائنات.

أما أوجبرن ونيمكوف فقد صنفا الثقافة إلى ثقافة مادية وهي تشمل كل ما يصنعه الإنسان في حياته، وكل ما ينتجه العقل البشري من أشياء ملموسة.

وكذلك كل ما يحصل عليه الناس عن طريق استخدام فنونهم التكنولوجية ثم ثقافة لا مادية وهي تشمل مظاهر السلوك التي تتمثل في العادات والتقاليد والتي تعبر عن المثل والقيم والأفكار والمعتقدات وكل من الثقافة المادية واللامادية يدور حول إشباع الحاجات الرئيسية للإنسان، الأمر الذي يعطيه تفهمه الاجتماعية التي هي جوهر الثقافة.

ويمكن تعريف الثقافة بأنها أنماط السلوك والمعيشة والفكر والحياة وقواعد العرف والتقاليد واللغة والعلم والقانون والأخلاق والدين (حسين، 1983).

يعتبر الموروث الثقافي كنز الأمة، به تفرض وجودها وتثبت ذاتها وخصوصيتها وتتحقق طموحاتها، لذلك فإن أغلب الأمم والشعوب سعت دوماً للحفاظ عليه والتشبث به ومحاولة إحيائه وبعثه من جديد" (هندشيري).

يعد الموروث الثقافي لأي بلد تعبيراً جلياً عن هويته الوطنية والإنسانية في مراحل زمنية وتاريخية مختلفة، وهو يشمل الموروث المادي وغير المادي.

والموروث الثقافي في تعريف موجز له هو كل ما تركه الأسلاف من معارف وآداب وفنون وعادات وتقاليد ومعتقدات وقيم تعكس نشاطهم المعرفي وطريقة تفكيرهم وظل متوارثاً أو متصلاً جيلاً بعد جيل ومن ثم يبقى حياً في ضمائر وعقول كل شعب أو جماعة بشرية (أسماء).

ويقسم الموروث بوصفه العام أو بوصفه موروثاً ثقافياً إلى موروث مادي وغير مادي، الموروث الثقافي المادي هو تلك الموروثات ذات المضامين الثقافية الملموسة والمحفوظة مادياً في صيغة كتابة أو رسوم أو أشياء أو مباني كالكتب والمخطوطات والوثائق واللوحات والرسوم الجدارية والآثار والأزياء والصناعات الشعبية.

أما الموروث الثقافي غير المادي فهو كل ثروة ثقافية منقولة وتشمل اللغات واللهجات والحكايات الشعبية والأمثال والأهازيج والغناء والموسيقى (أسماء).

للموروث الثقافي أهمية إنسانية واجتماعية وعليه فإن من المهم اطلاع الناس لاسيما الجيل الجديد على موروثات بلدهم، فكل شعب ينبغي له أن يطلع على حضارته

وموروثاته لكي تتعزز روحه الوطنية والإنسانية وتتحفز قدرته الإبداعية من خلال معرفته بما خلفه له من سبقوه والاستفادة من خبراتهم ومهاراتهم لاسيما في مجال الإبداع الأدبي والفني والاستشهاد بالقيم السامية والنبيلة التي كانت تسهم في جعل المجتمع أو المجموعة البشرية في حالة صحية سليمة، إلى جانب أن الاهتمام بالموروثات يسهم في تعزيز الحوار الثقافي واحترام الإنسان لنفسه وهويته وانتمائه الوطني.

إن أهمية الموروث الثقافي تستوجب حمايته من الاندثار من خلال مجموعة من الوسائل والرائق التي تحافظ على الموروثات من الحوادث كالغرق والسرقات والحرائق ومن العوامل المناخية كالرطوبة، ومن الجهل الذي يؤدي إلى إتلاف بعض الموروثات لعدم إدراك أهميتها، وحماية الكتب والمخطوطات والوثائق واللوحات والمنحوتات والحفاظ على البيوت التراثية (أسماء).

2- تحليل سوسيولوجي لواقع الموروث الثقافي في عصر العولمة:

إن الواقع يؤكد بوجود ثقافات متعددة ومتنوعة تختلف عن بعضها البعض وليس هناك ثقافة عالمية واحدة مثلما تسعى العولمة إلى تدمير البنى الثقافية للبلدان التي اعتزت لقرون بثقافتها عن طريق تدمير بناها الاجتماعية وعزل الثقافة عن الواقع لتؤكد بأن هناك ثقافة المركز الواحد المتمثل بالولايات المتحدة الأمريكية والدعوة لتبني هذا النموذج الأوحد وعمدت إلى كثير من الطرق والوسائل لغزو الثقافات الأخرى كمصادر البث الإعلامي والأقمار الصناعية والإنترنت، إن الخطر الأكبر الذي تنطوي عليه العولمة هو محور الهويات الثقافية للشعوب وطمس الخصوصيات الحضارية للأمم على أنه إحدى موجات الحداثة الفكرية التي يجب على العالم أن ينخرط فيها ويستوعب معطياتها إن أراد أن يواكب العصر ويساير التطور الحضاري الإنساني (طه، 2015: 165).

"تدعو العولمة إلى إيجاد ثقافة كونية أو عالمية تحوي منظومة من القيم والمعايير لفرضها على العالم أجمع، وحيث إن البعد الاقتصادي للعولمة يؤثر بقوة في الجانب الثقافي، فإن من يمتلك مقاليد القوة الاقتصادية يستطيع أن يفرض ثقافته على الطرف الأضعف اقتصادياً وبالتالي يتخوف البعض من العولمة الثقافية التي تسعى إلى فرض عالمي لثقافة الغرب ومحو الثقافات الأخرى التي تتعارض معها، فتضطر الدول الصغرى للتخلي تدريجياً عن سماتها وقيمها الثقافية لصالح الثقافة العالمية.

فالعولمة الثقافية تؤدي إلى الانقسام والتفكك وإحداث شروخ في الأبنية الثقافية للشعوب، فضلاً عن محاولة طمس معالم الثقافة الوطنية أو إظهارها بمظهر العاجز

حيث تفرض العولمة فكراً يعتمد على ما أنتجته ثورة المعلومات والتكنولوجيا" (عاطف، 2000: ص61).

"ويرى إسماعيل إبراهيم أنه إذا تنازلنا عن قيمنا وأفكارنا المتوارثة وأفسحنا المجال لكل وافد من قيم وأفكار دون تفكير أو تحليل فإن تراثنا العربي سيتعرض لغبار كثيف من الفوضى والاضطراب والتفسير المشوه، وقد أدى ذلك إلى فراغ فكري يعيشه شبابنا واضطراب أدى إلى تقسيم هذه القوة الماثلة في مجتمع الشباب إلى فئتين:

الفئة الأولى أصرت على الارتباط والتمسك بتراث وأفكار الأجداد ورأت أن تدافع عنه ضد من يتعرض له وعندما عجزت عن هذا الدفاع بالطريقة المشروعة لجأت إلى العنف.

وفئة أخرى تأثرت بالأفكار الغربية الوافدة وأخذتها كنموذج ومثل في نمط حياتها" (إسماعيل، 1988: ص112).

إن التفاعل الثقافي أمر ضروري فهو يؤدي إلى قوة ونمو الهوية الثقافية، وقد يؤدي إلى ضعف واضمحلال الهوية الثقافية، ففي عصر العولمة نجد الثقافة الغربية الوافدة بشتى أشكالها تشكل خطراً على قيمنا وعاداتنا الموروثة، بل تمثل اختراقاً للهوية الثقافية في ظل ضعف مواجهة الثقافة العربية لهذا الوافد".

ومن آثار التفاعل الثقافي تقليد الغربيين في عاداتهم ومعاشراتهم الاجتماعية، أيضاً الافتتان بالثقافة الغربية" (إجلال، 1993: 81).

مما أدى إلى وجود حالة من الاغتراب الثقافي، فالتغريب الثقافي هو ابتعاد الإنسان عن ثقافة مجتمعه التي نشأ فيها ورفضها والنفور منها نتيجة للانبهار بكل ما هو أجنبي" (مصطفى التير، 1999، 27).

ونستخلص نوعاً من الاتفاق مع دراسة محمد سعد أحمد (2004) فقد توصلت إلى أن اعتماد الخطاب الإعلامي الأمريكي الموجه باللغة العربية على آليات تهدف إلى إحداث تزاوج بين القيم العربية والأمريكية وامتصاص الثقافة العربية من خلال تشكيل هوية ثقافية مهجنة، ويدل ذلك على تسلل الثقافة الأمريكية لفئات الشعب من خلال الموسيقى والفن والأزياء (محمد، 2004).

نحن هنا نتحدث عن تأثير ثقافة الهاتف المحمول والنت والإعلام الفضائي والستالايت فهي بقدر ما تسهل عملية الاتصال وتضفي أجواء إيجابية على زحمة الحياة، بقدر ما تشكل أزمة في حد ذاتها عندما تتحول هذه السلع والأدوات الثقافية لتصبح البديل الرئيسي عن الأدوات الأخرى مثل حوار العائلة والكتاب (رانيا كامل، 2009).

وتتجســد مظاهر العولمة في جانبها الثقافي في بزوغ شــكل جديد للتطور المجتمعي، يعتمد في نمط ســيطرتـه ونفوذه على المعرفة العلمية المتقدمة وكفاءة استخدام المعلومات في جميع مجالات الحياة، كما يتعاظم فيه دور صناعة المعلومات بوصــفها الركيزة الأســاســية في بناء الاقتصــاد الوطني وتتعزز من خلاله الأنشــطة المعرفية، وهو ما يطلق عليه اليوم مجمع المعلومات، وهكذا يعتمد مجتمع المعلومات على قوة العقل البشري.

وإن كانت العولمة تعني في جوهرها أن يكون العالم مفتوحاً كمجال حيوي واقتصادي وثقافي يتقاسمه الأغنياء والقادرون دولاً وأفراداً وفق معايير السوق، فمن الطبيعي أن ينتج عن ذلك تداعيات ومخاطر تتعدى حدود الدولة القومية" (حلبي، مرجع سبق ذكره: ص197).

وهذا ما أكدت عليه دراســة عبد الله مســفر محمد (2010) فيما يتعلق بالنتائج حول تأثير ثقافة العولمة والمتمثلة في تشــجيع الاســتهلاك الترفي وفقدان قيمة الادخار وانتشار القيم الفردية والأنانية وعدم الانتماء للوطن (مسفر، 2010).

وكذلك دراســة محمود السـيد عرابي (2004) بعنوان تأثير العولمة على ثقافة الشــباب المصــري أكدت على تأثير العولمة على القيم والعلاقات والممارســات الاجتماعية داخل وخارج الأسـرة وفي علاقات وقيم الإنتاج وانتشـار ثقافة الاسـتهلاك والادخار، وتوصـلت الدراسـة لعدد من النتائج منها تراجع نسـبة قيمة الادخار وزيادة نســبة الإدمان والانحراف وتفضــيل الشــباب لأشــكال عديدة من التحرر في الملبس وبعض السلوكيات مثل التدخين وتراجع العفة والصدق وصلة الرحم (عرابي، 2004).

كذلك يتفق مع نتائج دراســة أنور إبراهيم محمد (2007) فيما يتعلق بسـيطرة اللغة الإنجليزية على مواقع شــبكة الإنترنت مقارنة باللغة العربية، وذلك لابد من أن تكون الأسرة على حذر من خطورة التعامل اليومي مع آخرين مختلفين معهم في الفكر والثقافة" (محمد، 2007).

كذلك دراســة حاتم محمد عاطف(2004) التي توصــلت في نتائجها إلى أن العلاقة بين اســتخدام المراهقين للإنترنت وهويتهم الثقافة هي علاقة ســلبية" (حاتم، 2004).

أما دراســة هدى أحمد عبد المحســن بعنوان: الوجبات الســريعة والأزمة الاجتماعية والصـحية للشـباب، حيث توصـلت الدراسـة لعدد من النتائج منها أن هناك مجموعة من العوامل الاجتماعية والاقتصـادية والثقافية التي أسـهمت في ارتفاع إقبال

المستهلكين بكافة طرق الدعاية والإعلان، وأن ظاهرة الوجبات السريعة ظاهرة اجتماعية وثقافية مصاحبة للتغير السريع والعولمة (عبد المحسن، 2005).

وعليه لم يتوقف أثر هذه الاتصالات عند حد توصيل الأخبار والمعلومات على نحو أكثر سرعة، وإنما تجاوز ذلك نحو تغيير نسيج حياتنا جميعا، ولذلك من الخطأ الاعتقاد بأن العولمة تعلق فقط بالأنساق الكبرى مثل النظام المالي الكوني، وإنما تمس العولمة كل ما هو بعيد عن الفرد وكذلك تؤثر في كل الجوانب الشخصية والأليفة في حياتنا، بمعنى أن هناك ثورة كونية حقيقية في حياتنا اليومية لها تداعياتها في مجالات كثيرة في مقدمتها العمل والسياسة (جلبي، مرجع سبق ذكره: ص17).

وعند قراءة الغزو الثقافي في عدد من القوات "إن المشاهد المحرمة التي تعرضها تلك القنوات تضعف الإيمان وتباعد بين العبد وربه فتجعله يستغرق في ارتكاب المحرمات حتى يألفها ويستوحش الطاعات وتمييع المفاهيم والثوابت الإسلامية التي لا مجال للمساس بها حتى بلغ الأمر أن يعتبر بعض مقدمي البرامج وممثلو القنوات الفضائية الرقص والتمثيل والغناء عملاً لا يؤاخذ الله عليه حيث يندرج عندهم تحت الكسب من خلال العمل الشريف والإبداع الفكري والفني، وعن أبرز الأضرار التربوية الأخلاقية والاجتماعية لما تبثه كثير من القنوات الفضائية المختلفة حصول الانحراف السلوكي لدى الأطفال والشباب والفتيات وكذلك الكبار من الرجال والنساء وذلك المشاهد المعروضة عبر تلك الفضائيات تظهر العلاقات المحرمة بين الرجل والمرأة بأنه نموذج أمثل يسلكه الرجل والمرأة والدعاية للتقليعات الغربية في اللباس" (عواد2015: ص186).

أيضاً الغزو الفكري يحدث عبر قنوات الأخبار وقنوات الأطفال والقنوات الإباحية والقنوات المنوعة.

3- عولمة الثقافة وانعكاسها على استدامة خصوصية الموروث الثقافي (الواقع والنتائج):

إن أهم ما يميز مطلع القرن الواحد والعشرين هو تزايد الهيمنة الثقافية وما تشكله من إرهاب ثقافي حضاري يتعارض مع طبيعة الإنسان، وذلك أن التفكيك التي تتم في إطار الهيمنة الثقافة تهدد كيان الفرد والمجتمع، بل وتشكل خطراً على الإنسانية جمعاء فثقافة الهيمنة ت سعى على تفكيك الفرد من أسرته وأمته ومن بيته باسم الفرد مرة والحرية الشخصية مرة ثانية، والحداثة والتطور مرة ثالثة، وهذا كله يصور لنا على أنه نتاج إنسانية عامة يلتزم الجميع بها باعتبارها استجابة لنوازع طبيعية في الإنسان، ومن ثم انتشارها حتمي ولابد من الخضوع لها.

وبناء على ما سـبق فإن الهيمنة الثقافية في البلدان العربية لا تقتصـر على ما تكرره الأدبيات العربية ممثلة في الغزو الإعلامي عبر الفضائيات ووسائل الاتصالات المعاصرة ووكالات الأنباء الصهيونية والكتب والمجلات وغيرها التي لا تغفل دورها فهي تمثل العوامل الخارجية للهيمنة الثقافية وهي تلعب دوراً لا شـك فيه، ولكن نقطة الضعف المركزية تكمن في البنية التعليمية في بلادنا العربية لأنها الأساس الذي تتكون وتنمو وتنضـج فيه الكوادر العلمية والفكرية والثقافية والسـياسـية والاقتصـادية، فهي البؤرة التي يجب أن تتجه إليها جودنا من أجل الكشـف عنها وإعادة صـياغة أهدافنا ووسائلنا التعليمية في قضاء يتسم بالحرية وبذلك نفسح المجال أمام الطاقات الإبداعية في جميع المجالات لتكسر سياج التسلط الداخلي وأوجه الهيمنة الخارجية بإبداعات في جميع الميادين تتفاعل مع الثقافات الأخرى وتنهل منها وتنقدها وتمدها بعناصر جديدة، بذلك تتحول علاقة الهيمنة إلى علاقة مثاقفة، علاقة أخذ وعطاء، فحينما توجد ثقافة حية نامية متحركة تتعامل مع مشكلات العصر الكبرى وتحدياته المصيرية بنجاح مع عقولنا وتتفاعل مع قضـاياها الوطنية والفكرية والعلمية والتقنية والفنية بصـورة خلاقة ينكمش تأثير الغزو الثقافي ويميل فعله إلى التلاشي" (غنيم، 2008: ص269).

إن المدخل الصحيح لدراسة الحال والمستقبل للثقافة هو تصحيح الموقف من ذات العولمة ووضعها في مكانها الصحيح وليست هي الضد ونحن أبناء الثقافة العربية قادرين على التعامل مع العولمة لأن الثقافة العربية ذاتها عالمية.

ويشـير أحد الباحثين إلى أن المشـكلة الرئيسـية هي كيفية مواكبة العصـر بتغيراته ومستجداته الحديثة والتصدي في نفس الوقت للمخاطر والتهديدات التي تؤثر على الهوية الثقافية خاصة أنه حتى الآن لم يتم التوصل إلى صيغ مناسبة هدفها غرس الوعي بأهم وأخطر المسـتجدات العالمية في أذهان الأجيال الجديدة التي تعيش الآن حياة مغايرة لحياة أسلافنا دون فهم لهذه المخاطر وهو ما يعرضها إلى الانسياق وراء التيارات العالمية وتقديم تنازلات دون وعي أو اهتمام متصـورة أن النمط الغربي أو الأمريكي و النمط المثالي للتحضر والحداثة والعصرية" (العويدات، 1998: 29).

"ماذا ينفع الحديث عن الهوية وعن الخصـوصـيات الثقافية للشـعوب إذا لم تتجدد المفاهيم وتتغير الأسـاليب، ونعرف كيف نسـتفيد من هذه الوسـائل الخطيرة لتحديث المجتمع وتحقيق التقدم عوض السـير القهقري بتصـنيم الواقع وفتح الأبواب أمام ثقافة الرداءة والإعلام الترفيهي السطحي" (الجنجاني، 2001: ص22).

إن واقع الموروث الثقافي العربي يحتاج لإبرازه عبر آليات العولمة الحديثة بوسائل متعددة وعدم الاعتماد على نماذج مستوردة في البرامج الإعلامية أو في الفن

والشعر، من منطلق أن القيم والمبادئ لا يختلف فيها البشر، لكن بعض الأنماط السلكية قد تختلف من بلد لآخر خاصة فيما يتعلق بالعلاقات الاجتماعية والممارسات الثقافية، ولهذا كان لابد من الانتقاء الثقافي الذي يعتمد على الاستعانة بكل ما يتماشى مع القيم الإسلامية والقانونية والابتعاد عن أي ممارسة تتنافى مع القيم الدينية والأخلاقية، والمشكلة تكمن في وجودنا في إطار عالم يعتمد على التطورات المتسارعة ومجتمع المعلومات والجميع في الحاجة للاستعانة من هذه التقنية التي ساهمت في إحداث رفاهية معيشية على الصعيد الفني والاقتصادي والاجتماعي، لكن المعضلة تكمن في الجانب الثقافي من حيث الغزو الثقافي في اللغة والقيم وأنماط السلوك عن طريق التأثر والانبهار بها هذا ما أدى إلى الفجوة الثقافية، لأن عصر العولمة يعتمد على المنافسة والقوة الاقتصادية وليس على الاستهلاك فقط.

لابد من دعم المشاريع الاقتصادية في بلداننا العربية والاعتماد على استثمار الموارد لكل دولة والاعتماد على الكوادر البشرية وانتهاج نهج الاستثمار المعرفي واستثمار رأس المال البشري للوصول به للابتكار والاختراع والتجديد بهدف الارتقاء المعرفي والصناعي والاقتصادي والثقافي والابتعاد عن فكرة الاعتماد الكلي على الخبرات الأجنبية.

نحن هنا لا ننكر أهمية التعاون وتبادل الخبرات والاستعانة بالغير من ذوي الخبرة في التنمية والنمو الاقتصادي ولكن ضد الكساد والخمول والعزوف عن النهوض بالاقتصاد نحو عصر العولمة الذي يعتمد على التنافس والقوة.

"وهذا ما أكدت عليه الافتراضات العلمية لنظرية الفجوة الثقافية التي ترى أن الجانب المادي للثقافة ينمو بشكل تراكمي إلا أنه ينمو بشكل أسرع من الجانب غير المادي، وهو ما جعل "وليم أوجبرن" يؤكد على أن هذا التباين في سرعة تغير كلا الجانبين والذي دائماً ما يكون في صالح الجانب المادي بسبب الفجوة الثقافية هو ما يترتب عليه اختلال وعدم اتزان في ثقافة معينة ومردود ذلك إلى عدم المواءمة والسير في العملية بشكل غير متوازن مما ينتج عنه الفجوة الثقافية في المجتمع" (جامع، 1993: ص117).

وكأن القضية وصلت لحد الأزمة وعلينا مناقشتها والتدخل للها "فالتدخل في الأزمة يعد نموذجاً فريداً من العلاج خصيصاً لكي يتناسب مع موقف الأزمة بما له من خصائص مميزة" (شحاتة، 2017: 237).

فنحن لا ننكر أفضال العولمة وإيجابياتها وما حققته لنا من مزايا ورفاهية وحلحلة لعدد من مشاكلنا وساهمت في الارتقاء بالإنتاج المعرفي لكنها تحتاج لعلاقة

الند بالند لتحقيق التوازن في ميزان القوى، فكل دولة تحتاج لأخذ مكانها في ظل التكتلات الاقتصادي الكبرى حتى لا تقع فريسة للاستغلال في ظل سياسة احتكار التقنية وبزوغ فكرة الثقافة العالمية للوصول للمواطن العالمي بهدف القضاء على الخصوصية الثقافية للشعوب، وهذا له تأثير السلبي على الهوية والانتماء للوطن، ولعلنا هنا نستعين بالنموذج النظري لنظرية الثقافة العالمة التي تدعو لقيام ثقافة واحدة من خلال آليات العولمة.

"لقد ركز هذا النموذج النظري على مدى تناغم وسائل الإعلام عبر دول العالم وأعطى أهمية للثقافة أكبر من أهمية كل من الاقتصاد والسياسي، كما يعطي اهتماماً أساسياً لكيفية مواجهة الأفراد والأمم للثقافة العالمية البازغة، ويعتمد هذا النموذج النظري على أن مفهوم الثقافة العالمية موجود بالفعل ويرجع هذا إلى التطور السريع لوسائل الإعلام والاتصال خلال العقود الأخيرة" (Giovanni).

ويرى سميث أن الثقافة العالمية تعمل على عدة مستويات، تعمل كموفرة للسلع الموحدة، وكسلعة من القيم والاهتمامات الإنسانية المعممة، وكلفة لخطاب موحد وكنسق تبادل من الاتصالات ليشكل الأساس المبادئ لخطاب موحد وكنسق تبادل من الاتصالات ليشكل الأساس المادي لكل العناصر وتتم عملية الإحياء الثقافي على مستوى الأنماط الشعبية والقومية والتقليدية في الأزياء والمفروشات والموسيقى بعد أخذ سياقاتها الأصلية (أنتوني، 2000: 168).

وانطلاقاً مما سبق نستطيع أن نقرر أن نظرية الثقافة العالمية تقوم على مجموعة من الفرضيات فهي تفترض سيادة ثقافة عالمية تعبر عن مزايا العولمة والتكنولوجية والاقتصادية وآليات اتصالية وفضائية مع سيادة اتجاهات نحو الحرية والاستقلالية والعالمية.

نحن هنا بصدد مناقشة قضية الموروث الثقافي وعلاقته بالاستدامة الثقافية لكي نستطيع أن نستخلص أن الموروث الثقافي في خطر إذا لم يتم التصدي للتأثيرات السلبية لثقافة العولمة على موروثنا الثقافي وأصبحت تغرس تربوياً للشباب والأطفال عبر آليات العولمة المختلفة، مما أدى للاعتياد على العري والعنف وثقافة الجسد والانبهار والتعرض للمواقع الإباحية، أيضاً أصبحت قنواتنا العربية تعتمد في مسلسلاتها وبرامجها على استيراد نماذج غربية وتقليدها.

من مظاهر العولمة سيطرة التكنولوجيا على الثقافة وبخاصة الثقافة الغربية، وقد أفرزت هذه السيطرة التكنولوجية ظواهر الانحلال الخلقي والعنف والجريمة التي

اجتاحت معظم الدول الغربية المتقدمة، وصاحب التطور التكنولوجي ظهور ثقافة العنف في عديد من دول العالم (عاطف، ص82).

وقد انعكس ذلك على الأطفال من خلال ظهور عدد من الأنماط السلوكية المكتسبة من آليات العولمة سواء كان من الفضائيات أو الإنترنت والوسائط المتعددة المرتبطة به كالإدمان على الألعاب الإلكترونية وتبادل أنماط سلوكية غير مرغوبة اجتماعياً وجدوها عبر الإنترنت تتعلق بنواحي جنسية، وكذلك انتشار السلوك العدواني تقليد ومحاكاة عدد من الشخصيات الذين تأثروا بها من النت.

حيث ترى نظرية العامل التكنولوجي أن التقنية هي التي يستخدمها الناس في وقت معين من أجل التكيف مع الوسط البيوفيزيقي، وترى أن التكنولوجيا ترتبط بالمجتمع ارتباطاً وثيقاً فهي انعكاس لثقافة المجتمع المادية والفكرية، ويأتي الاهتمام بالتكنولوجيا كمعاني وأبعاد وانعكاسات وليس كآلات نظراً للآثار التي تتركها في المجتمع.

وقد ساهمت التكنولوجيا في تكوين اتجاهات عدة داخل المجتمع منها: التغير في مجال القيم الاجتماعية (أبو القاسم، 2020: ص115).

ولعلنا من خلال الدراسة الراهنة نتناول ذلك الانعكاس الذي يترتب عليه غزو فكري يعتمد على الانبهار والتقليد في ظل الغزو الثقافي لآليات العولمة عبر وسائل الإعلام والاتصال.

إن العولمة الثقافية تطاول على هويات الشعوب وترقى إلى تعميم نموذج من السلوك والقيم وطرائق العيش فترمي إلى طمس الهوية الثقافية عن طريق انحسار الثقافة المكتوبة وانتشار ثقافة الصورة، فثقافة العولمة هي ثقافة ما بعد المكتوب، ثقافة الصورة مما يؤدي إلى تراجع معدلات القراءة، مما يعني ضموراً متزايداً في حقل المعرفة وضعفاً بينا في التكوين المعرفي للإنسان.

إن سيطرة نمط الصور النمط التلفزيوني على النمط المكتوب يعد تهديداً للقيم.

أيضاً تغيير مفهوم الثقافة وانتشار لقيم ثقافية وأوضاع اجتماعية جديدة لأنه في ظل العولمة الثقافية لن نستطيع القول إن الثقافة تعبر عن النظام الاجتماعي، فالناس يحملون قيماً وأفكاراً خرجت من ثقافة الصورة ولم تخرج من نظام اجتماعي، وهذا يعني إن الاختراق الثقافي سيكون من داخل الثقافة نفسها، فالعولمة الثقافية سوف تخلق مجتمعاً تحكمه الخسارة والربح.

أيضاً ستؤثر في اللغة العربية لأن اللغة العربية في عصر العولمة فاقدة الهوية.

كذلك العولمة الثقافية تهدف إلى صـبغ العالم كله وخاصـة الأمم القادرة على التأثير والمنافسة بصبغتها القائمة على المادية والنفعية والتحرر من كل المبادئ والقيم.

أيضـاً أدت العولمة الثقافية إلى فرض نماذج وفلسفات تربوية خاصـة وأسمت في تعدد اتجاهات الأفراد وأوجدت تناقضات بين الأصالة والمعاصرة.

وهذا ما أكدت عليه دراسة مجاهد (2001) بعنوان بعض مخاطر العولمة التي تهدد الهوية الثقافية للمجتمع ودور التربية في مواجهتها).

التي هدفت إلى محـاولـة فهم ظـاهرة العولمة ومتابعة تجلياتها المتنوعة وتقديم تصـور مقترح لدور التربية في مواجهة مخاطر العولمة الثقافية، وتوصـلت الدراسـة إلى أن العولمة عملية مركبة لها أبعادها ومظاهرها المختلفة. فهناك شـعور بالاغتراب نتيجـة اسـتيراد نماذج ثقافية غربية، وهناك ضـعف للانتماء الوطني وزيادة للتفكيك الداخلي، كما أن هناك أهمية لضرورة بلورة استراتيجية تربوية تسمح للمجتمع بتعظيم الفائدة من إيجابيات العولمة وتحجيم سلبياتها.

"ولهذا يحصـر محمد عابد الجابري أسـباب الغزو الثقافة للثقافة العربية والمتمثلة في أربعة أسباب تكمن في:

- واقعنا العربي المتخلف.
- الغزو الإعلامي السـمعي والبصـري عبر وسـائل الإعلام التي تهدد القيم والأخلاق وتغزو العاطفة والخيال.
- قصـور العرب في تبني الحداثة أدى إلى قصـور في الفعل والتخطيط على جميع المستويات العلمية والثقافية والاقتصـادية والسـياسـية على المسـتوى الوطني والقومي وهذا مؤشر على عدم فهمنا واستيعابنا لأسس الحضارة المعاصرة.
- إسقاط الحاضر على المستقبل وتقديم حلول للحاضر بكل ما يحمله من تناقض وإعادة إنتاج القديم على المسـتوى الاقتصـادي والسـياسـي والاجتماعي والفكري" (السـيد، ص270).

ثالثاً: الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية

1. منهج الدراسـة: اعتمدت الدراسـة على المنهج الوصـفي التحليلي لوصـف تأثير العولمـة على الموروث الثقـافي من خلال إجـابـات أفراد العينـة للوصـول لتحليـل سوسيولوجي لواقع الموروث الثقافي في عصر العولمة.

2. مجالات الدراسة:

أ. المجـال المكـاني: يتمثـل في عدد من الجـامعـات في عـدد من الـدول العربيـة (ليبيـا، مصر، الجزائر، العراق، الأردن، الإمارات، الكويت).

ب. المجال الزمني: ويتمثل في زمن إجراء الدراسة وجمع البيانات 2022-2023.

ج. المجال البشري: ويتمثل في الأكاديميين العرب وهم أعضاء هيئة تدريس في عدد من الجامعات العربية في تخصصات مختلفة (علوم إنسانية واجتماعية، وعلوم تطبيقية) بلغ عددهم (100) مفردة ممن لديهم مؤهلات علمية الماجستير والدكتوراه.

3. عينة الدراسة: تمثلت عينة الدراسة في عينة عمدية بلغ عددها (100) حالة من الأكاديميين من عدد من البلدان العربية من كليات (الآداب، القانون، التربية، تقنية المعلومات، الهندسة، الطب) وتم جمع الاستبيان إلكترونياً حيث تم مراسلة عدد من الأكاديميين والأكاديميات ممن نعرفهم وكذلك من لا نعرف شخصياً عبر صفحات مجموعات خاصة بالأكاديميين.

4. أداة جمع البيانات: يتمثل في استبيان يشتمل على عدد من الأسئلة عن واقع الموروث الثقافي في عصر العولمة وتأثير العولمة عليه، والعوامل المساعدة في تحديد نوع التأثير وتحديد التحديات ومخاطر العولمة على الموروث الثقافي والهوية.

رابعا: تحليل وتفسير البيانات واستخلاص النتائج:

بعد جمع البيانات والقيام بمراجعتها تبدأ مرحلة تحليل البيانات في جداول تحتوي على تكرارات ونسب ومحاولة تفسيرها عن طريق اختيار الوسائل الإحصائية الملائمة.

توضح النتائج الميدانية المتعلقة بآراء عينة الدراسة حول العوامل المساعدة في وجود تأثير للعولمة على الموروث الثقافي، فقد أوضحت ما نسبته 30% بأن الإغراق الإعلامي لنماذج مستوردة تتناقض مع القيم والعادات والتقاليد، في حين أكدت ما نسبته 21% بأن التأثير الثقافي عن طريق اللغة واللباس والموسيقى والأفلام والموضة أحد عوامل تأثير العولمة في الموروث الثقافي. في حين أوضحت ما نسبته 20% بأن أوضاع المجتمع المتعلقة بالاعتماد على الاستيراد للمعرفة والمنتجات أدى للانبهار بكل ما هو أجنبي.

مناقشة النتائج: انطلقت الدراسة من أهداف وتساؤلات حول التعرف على انعكاس العولمة على الموروث الثقافي للكشف عن الظواهر المترتبة عن ذلك وتأثيرها على استدامة الخصوصية الثقافية، وقد توصلت لعدد من النتائج سواء على مستوى الإطار النظري والدراسات السابقة، أو النتائج الميدانية، حيث إنه من خلال الاستعانة بعدد من الدراسات السابقة ذات العلاقة بموضوع الدراسة أكدت على وجود انعكاس للعولمة على الثقافة بشكل عام وذلك من خلال آلياتها الإعلامية والاتصالية باعتبارها ظاهرة عالمية حققت لنا الرفاهية الاجتماعية والثقافية، وساعدت في سهولة الحصول على

المعلومات وتبادلها والتعرف على ثقافات الشعوب الأخرى، ولكن لكي نحقق الاستفادة منها لابد من الحصانة الثقافية وفق سياسة الانتقاء الثقافي للحد من سلبياتها.

وهذا ما دلت عليه دراسة محمد حسن البرغثي من أن التراث يمثل إشكالية قائمة في الفكر العربي وسيخضع إلى مراجعة شاملة في ظل العولمة، وأن النسيج اللازم للحياة الاجتماعية سيكون عرضة للتدمير وأن العولمة تكرس الازدواج الثقافي (محمد).

ولعلنا هنا نستدل بنتائج دراسة ماهر أحمد عبد العال التي أكدت أن الثقافة العربية في عصر العولمة تعاني من أزمة وتباينت أسبابها، منها عدم قيام النظام الإعلامي والتعليمي بالدور المطلوب في دعم الثقافة العربية، وأن الهوية الثقافية تتأثر بظاهرة العولمة في كافة مكوناتها (ماهر).

وقد أوضحت النتائج الميدانية على وجود تأثير للعولمة على الموروث الثقافي إيجابي وآخر سلبي، وذلك محكوم بنوعية هذا التأثير ومدى تأثيره على الهوية الثقافية، لأن التأثير الذي يزيد من ثراء الثقافة ويساعد في تبادل الثقافات ويساهم في نشر القيم يعتبر إيجابياً، أما التأثير الذي يساهم في طمس مكونات ثقافة على حساب ثقافة أخرى يعتبر سلبياً، ومن خلال إجابات أفراد العينة وجدنا وجود تأثير الثقافة على الموروث الثقافي من خلال حدوث تغيرات منظومة القيم والسلوك وإضعاف الدولة الوطنية والاعتداء على الموروث الثقافي المحلي.

أيضاً أوضحت النتائج الميدانية وجود تأثير للعولمة على القيم سواء قيمة الادخار والاستهلاك والعفة والصدق والحشمة.

كذلك توصلت الدراسة لعدد من النتائج المترتبة على تأثير العولمة على الموروث الثقافي والمتمثل في طمس الموروث الثقافي المحلي وزيادة من حدة صراع الأجيال والدعوة إلى التقليد الأعمى للثقافة الغربية والازدواجية الثقافية والدعوة للإلحاد والمثلية.

وهذا ما أكدت عليه نتائج دراسة مصطفى مرتضى التي أظهرت بأن هناك اتفاقاً حول التأثير الأكبر للعولمة الاقتصادية والثورة العلمية، وتشير إلى أن هناك اتفاقاً على الآثار الإيجابية للعولمة على المستوى الثقافي من إنتاج للمعرفة واستهلاكها ليستفيد منها كل البشر، كذلك وجود آثار سلبية للعولمة تتمثل في سيادة ثقافة الاستهلاك وتدمير للخصوصيات الثقافية بفرض النموذج الثقافي الغربي على المجتمع العربي (مصطفى).

كذلك نستطيع الاستدلال بنتائج دراسة سعيد أمين ناصف (2005) التي توصلت إلى أن هناك تأثيرات إيجابية للثورة الرقمية على البيئة الاجتماعية منها رفع مستوى الوعي الاجتماعي والثقافي ومواكبة التطورات العالمية وسهولة الاتصال وتبادل المعلومات، كذلك هناك تأثيرات سلبية على الهوية الثقافية وانتشار قيم المظهرية وتفسخ العلاقات الأسرية (ناصف، 2004).

أيضاً أكدت نتائج دراسة ماجد عبد الله عبد المحسن فيما يتعلق بالنتائج المتعلقة بأن القيم الأجنبية المتضمنة للأعمال الدرامية الأجنبية تأتي في ظل المحاولات الدؤوبة لخلق ثقافة عالمية موحدة مبنية على القيم الغربية، كذلك أن القنوات الفضائية تقدم قيماً أجنبية في مضمونها كالعلاقات الأسرية المفككة وتتعرض لعلاقة الرجل بالمرأة بشكل تحرري (عبد المحسن، 1999).

كذلك نتفق هنا مع نتائج دراسة محمد إبراهيم أحمد عكة التي توصلت إلى عدد من النتائج منها وجود تخوف من العولمة باعتبارها تمس الأخلاق والثقافة الإسلامية مثل تهميش اللغة العربية وتمجيد الثقافة الغربية (عكة، 2006).

كما أن دراسة محمد سعد أحمد أكدت على أن الخطاب الإعلامي الموجه عبر آليات العولمة يهدف إلى إحداث تزاوج بين القيم العربية والأمريكية وامتصاص الثقافة العربية من خلال تشكيل هوية ثقافية مهجنة، ويدل ذلك على تسلل الثقافة الشعبية الأمريكية من خلال الفن والموسيقى والأزياء (أحمد، مرجع سبق ذكره).

وعند الإجابة على التساؤل الأول نستطيع الإجابة عليه من خلال النتائج الميدانية التي ترى بوجود تأثير للعولمة على الموروث الثقافي، 76% أجابوا بوجود تأثير سلبي، 24% أجابوا بعدم وجود تأثير سلبي.

وعند تفسير الإجابة هنا نجد أن العولمة ساهمت بالحوار الحضاري وتبادل المعلومات وسهولة الحصول عليها والاستعانة بآلياتها في تطوير الموروث الثقافي المادي والمعنوي، ولكن الهفي الوقت نفسه تعرضت الخصوصية الثقافية لطمس بسبب ثقافة العولمة مما أدى إلى طمس الموروث الثقافي وظهور سلوكيات منحرفة عن القيم والدين والترويج لأغاني وأفكار منحرفة.

مما أدى إلى حدوث عدم الاتفاق المجتمعي على أنماط سلوكية تتعلق بالموضة والعادات بسبب الازدواجية الثقافية.

كذلك 98% أكدوا على تأثير العولمة على القيم الاقتصادية، 33% أدت إلى الانحلال الثقافي والانحراف عن القيم والثقافة بنسبة 43%، وقيم الادخار والاستهلاك والأخلاق بنسبة 20%.

وهذا ما يتفق مع دراسة أنور إبراهيم محمد فيما يتعلق بسيطرة اللغة الإنجليزية على مواقع شبكة الإنترنت مقارنة باللغة العربية ولذلك لابد من أن تكون الأسرة على حذر من خطورة التعامل اليومي مع آخرين مختلفين معهم في الفكر والثقافة (إبراهيم، 2007).

وعند الإجابة على التساؤل المتعلق بالظواهر الناتجة عن تأثير العولمة على الموروث الثقافي ومدى تأثيرها على الخصوصية الثقافية نستطيع الإجابة عن ذلك بالاعتماد على إجابات أفراد العينة التي أكدت على وجود عدد من النتائج المترتبة على تأثير العولمة على الموروث الثقافي مما أدى إلى وجود ظواهر المؤثرة على الأمن الفكري والاجتماعي للمجتمع، فالنتائج تتمثل في الدعوة إلى تقليد الغرب مما أدى للازدواجية الثقافية 21%، وطمس الموروث الثقافي وظهور أنماط منحرفة كالمثلية والإلحاد والتحرش والعري بنسبة 40%، وعدم الانتماء للوطن وطمس اللغة العربية والغزو الثقافي والاغتراب 19%.

وتأثير العولمة على القيم والدين واللباس والمأكولات بنسبة 39%.

ومن خلال ذلك نستطيع الإجابة بأن الظواهر المترتبة على تأثير العولمة على الموروث الثقافي متعددة وتمثل خطراً على هوية الفرد وتعدي على الخصوصية الثقافية وعشوائية فكرية وانتشار أنماط للسلوك الغربي الذي يتناقض مع القيم الدينية والعادات والتقاليد.

وأوضحت النتائج الميدانية على تأثير العولمة على الهوية الثقافية لأنها ساهمت في طمس الموروث الثقافي ومكوناته (اللغة والقيم، ولهذا كانت الظواهر المترتبة عليها تمس الأمن الفكر والأخلاقي للأفراد مثل الحرية المطلقة والإلحاد والمثلية والعري والإباحية.

وتهدف العولمة من خلال آلياتها الإعلامية والاتصالية لسيادة نموذج ثقافي عالمي مما أدى إلى طمس الهوية الثقافية من خلال تأثيرها على القيم.

كذلك أكدت بعض الدراسات السابقة بوجود تأثير للعولمة على الموروث الثقافي والقيم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

حيث أوضحت بوجود تأثير العولمة على الشباب وعلى الأطفال وعلى الأسرة سواء فيما يتعلق بالموسيقى أو اللباس والمأكولات وأنماط السلوك.

وهذا ما أكدت عليه دراسة محمد عبد الرؤوف كامل من أن هناك أبعاداً متعددة للغزو الثقافي مترتب على الفراغ الثقافي والإعلامي مما يؤدي إلى خلق ثقافة

الاغتراب التي تنادي بالابتعاد عن الواقع والاعتماد على الثقافة القادمة من الخارج التي تنادي بالحرية ورفض القيود والثورة على الواقع.

في حين أكدت نتائج دراسة يحيى حسين الخطيب على خطورة العولمة على ثقافة الشباب من خلال وسائلها الإعلامية والاتصالية من خلال إحداث العولمة لتأثيرات على التربية الوطنية واللغة العربية والهوية (الخطيب، 2006).

فالعولمة أثرت على اللغة واللباس والأكل تحت مسمى التحضر والموضة والعالمية وغرست بعض أنماط السلوك المنحرف عن طريق الدراما والموسيقى والحرية.

ومن العوامل التي ساعدت في وجود تأثير سلبي للعولمة على الموروث الثقافي ضعف الإنتاج الصناعي والثقافي للدولة المحلية والانبهار بكل ما هو أجنبي لأنه يمثل (قوة الصناعة والعلم).

وكذلك الاعتماد على سلاح الإعلام الجديد والترويج من خلاله لعدد من الأنماط والأفكار خاصة وأن لغة هذه الآليات هي المسيطرة مما أدى إلى طمس اللغة العربية.

أيضاً اعتماد عدد من الفضائيات على برامج مستوردة كنموذج إعلامي يتم الترويج من خلاله للإباحية الاجتماعية في العلاقات وللحرية المطلقة وللانبهار بكل ما هو أجنبي ونبذ كل ما هو محلي والتخلي عن العادات والتقاليد.

ونستفيد هنا من نتائج دراسة محمد السيد عرابي التي توصلت لعدد من النتائج منها أن العولمة بأنماطها الاستهلاكية تؤدي إلى تراجع قيمة الادخار، وأن الشباب يفضلون الاتجاه إلى التكنولوجيا وما ينتج عنها من سلع وأفلام واتصالات حيث تؤثر العولمة على تفضيل الشباب لأشكال عديدة من التحرر، كالتحرر في الملبس والسلوكيات والتدخين، كذلك تؤثر العولمة على القيم الدينية للشباب سلباً حيث تراجعت العديد من القيم مثل العفة والصدق وصلة الرحم وبر الوالدين.

ولعلنا نستدل بنتائج دراسة سبيروك التي توصلت إلى إعادة التأكيد على الهوية والثقافة المحلية بالتركيز على المجال الثقافي من الموسيقى والفن والغناء والدراما، وظهور رد فعل عنيف وكراهية لكل من العولمة الثقافية والاقتصادية ويشعرون بانتهاك لهويتهم (سيروك).

أما بالنسبة للتساؤل الذي يتساءل عن العوامل المساعدة في تأثير العولمة على الموروث الثقافي نجد أن هناك عدد من العوامل منها الانبهار بكل ما هو أجنبي والتأثير الثقافي عن طريق اللغة والموسيقى والأفلام والموضة واللباس 21%،

والإغراق الإعلامي لنماذج مستوردة تتناقض مع القيم والعادات والتقاليد 30%، وضعف الحصانة الثقافية لمواجهة الغزو الثقافي 19%.

وعليه فنحن نتوصل لعدد من العوامل ساعدت في وجود تأثير للعولمة ثقافياً.

قائمة المراجع

أولاً: الكتب:

- إبراهيم إسماعيل، (1998): الشباب بين التطرف والانحراف، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة.
- إبراهيم عكة، محمد، (2006)، العولمة والتعليم الفلسطيني، دراسة حالة لجامعتي بيت لحم والخليل، رسالة ماجستير في قسم الدراسات الاجتماعية، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة.
- أبو القاسم، إمبركة، (2020)، مبادئ التغير الاجتماعي ونظرياته، دار الحكمة للطباعة والنشر، القاهرة.
- أحمد عبد العال، ماهر، (2002)، العولمة والهوية الثقافية، دراسة لموقف المثقف المصري، رسالة لنيل درجة الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة.
- جلبي، علي عبد الرازق وآخرون، (2011)، العولمة والحياة اليومية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- الجنجاني الحبيب، (2001)، الثقافة العربية والبحث عن مكان، مجلة العربي، العدد 517، ديسمبر.
- حسين الخطيب، يحيى، (2006)، العولمة والقيم الاجتماعية للشباب الفلسطيني، رسالة ماجستير، رسالة منشورة، معهد البحوث والدراسات العربية، القاهرة.
- رشوان، حسين عبد الحميد، (1983)، دور المتغيرات الاجتماعية في الطب والأمراض، المكتب الجامعي الحديث، القاهرة.
- سميث، سميث، 02000)، ترجمة عبد الوهاب غلوب، نحو ثقافة عالمية في ثقافة العولمة، المجلس الأعلى للثقافة.
- السيد، عاطف، (2000)، العولمة في ميزان الفكر، دار فلمنج للطباعة، الاسكندرية.
- عبد الفتاح طه، نجلاء، 2015)، دور الإعلام في حل القضايا المعاصرة، دار التعليم الجامعي، الاسكندرية.

- عبد الله عبد المحسن، ماجد (1999)، تأثيرات البث المباشر على العلاقات الاجتماعية عند الشباب السعودي، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة عين شمس.
- عواد، فاطمة، حسين، (2015)، الإعلام الفضائي، دار أسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان.
- غنيم، السيد رشاد، (2008)، التكنولوجيا والتغير الاجتماعي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية.
- محمد الهادي شحاتة، فوزي، (2017)، الخدمة الاجتماعية الإكلينيكية، دار الكتب والدراسات العربية، الاسكندرية.
- مرتضى، مصطفى، 2002)، العولمة والتحديات المفروضة على المجتمعات العربية، حوليات آداب عين شمس، المجلد 29، أبريل - يونيه.
- نبيل جامع، محمد، (1993)، المفتتح في علم الاجتماع، المطبوعات الجديدة، الاسكندرية.
ثانياً: الدوريات العلمية:
- إبراهيم محمد إبراهيم، أنور، (2007)، الآثار الاجتماعية للثورة الرقمية، دراسة ميدانية على عينة من مستخدمي شبكة الإنترنت، رسالة ماجستير، قسم علم الاجتماع، جامعة عين شمس.
- أحمد عبد المحسن، هدى، (2005)، الوجبات السريعة والأزمة الصحية والاجتماعية للشباب على عينة من الشباب، القاهرة، دراسة منشورة، ندوة حول قضايا الشباب، أبريل.
- أمين ناصف، سعيد، (2004)، الطفل والعولمة، تحليل سوسيولوجي لواقع الطفولة ومستقبلها في الدول النامية، حوليات آداب عين شمس، المجلد 32.
- بن مسفر، عبد الله، (2010)، تأثير العولمة على ثقافة الأسرة الحضرية السعودية، دراسة ميدانية على أسر بمدينة جدة، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، جامعة عين شمس.
- التير، مصطفى عمر، (1999)، الهوية الثقافية العربية والتعليم العالي في الوطن العربي، مجلة الفكر العربي، لبنان، ع17.
- حاكم كامل، رانيا، 2009)، استخدام المراهقين للإنترنت وأثره على التنشئة الاجتماعية في الأسرة المصرية، رسالة ماجستير في علم الاجتماع، كلية البنات، جامعة عين شمس.

- خضـــير البياتي، ياســـر، (2003)، الفضـــائيات – الثقافة الوافدة، دراســـة ميدانية للتأثيرات الاجتماعية للقنوات الفضائية، مجلة البحوث الإعلامية، السنة التاسعة.
- ســـعد أحمد، محمد ســـعد، (2004)، خطاب العولمة والهوية في وســـائل الإعلام الموجهة بالعربية وانعكاسـها على استجابات الشـباب، دراسـة منشـورة ضـمن أعمال مؤتمر الإعلام المعاصر، كلية الإعلام، جامعة الأزهر.
- عرابي، محمود السيد، (2004)، عرابي، تأثير العولمة على ثقافة الشباب المصري، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب.
- العودات، حســـن، (1998)، كيف يمكن أن نجعل القنوات الفضـــائية العربية أداة للتعريف العربية والإسلامية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس.
- محمد إبراهيم، مجاهد، (2001)، بعض مخاطر العولمة التي تهدد الهوية الثقافية للمجتمع ودور التربية في مواجهتها، مجلة المستقبل، ع22.
- محمد حسن، البرغثي، (2004)، الثقافة العربية والعولمة، دراسة لنيل الدكتوراه في علم الاجتماع، كلية الآداب، قسم علم الاجتماع، جامعة قاريونس "بنغازي حالياً"
- محمد ســـري، إجلال، (1993)، التغريب الثقافي والتغريب اللغوي لدى عينة مصرية، دارة منشورة، مجلة كلية الآداب، جامعة عين شمس، ع97.
- محمد عاطف، حاتم، (2006)، العلاقة بين اســـتخدام المراهقين للإنترنت وهويتهم الثقافية، رسالة ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس.
ثالثاً: المواقع الإلكترونية:
- إيمان، هنشيري، الموروث الثقافي الجزائري (الواقع والآفاق) asip.cerist.dz
- محمد مصـــطفى، أســـماء، الموروث الثقافي المادي وغير المادي للعراق وتعزيزه وحمايته من الضياع ahewar.org
- ورقة مقدمة إلى الدورة الخامسة عشر لمؤتمر نورديج للإعلام والاتصالات، آيسلندا، أغسطس، 2001م jetteryoaard